بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صلّ عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أمّا بعد:

فرغم كون الزكاة ركنًا من أركان الإسلام؛ إلا أن الناس فيها بين جاهل مفتقر إلى شيء من العلم والمعرفة، أو مفرّطٍ متهاون بشأنها وباخل بها؛ إلا من رحم الله نسأل الله العافية.

وقد يكون مرجع ذلك كله إلى تقصير المسلم نفسه في الوقوف على منزلة الزكاة وعلاقتها بالإيمان.

ولعلنا وفي هذه الوقفة الموجزة نبرز منزلة الزكاة وموقعها من إيمان المؤمن من خلال نقطتين بيانهما كما يأتي:

أولاً: التعريف بالإيمان

اعلم رحمك الله أن الإيمان كما قرره أهل العلم والعناية بالدين: إخلاص لله بالقلوب وشهادة الألسنة وعمل الجوارح.

واعلم أيضًا، أن أهل السنة قد قرروا أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي، كما دلت النصوص الكثيرة على هذا، كما في قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح:4]، وقال: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر:31]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة:124 - 125].

إذن؛ فالإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

وهذا الأصل والمعتقد هو ما جرى عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين، إذ كان يقول أحدهم لصاحبه: هلم نزدد إيماناً، ويذكرون الله، ويقرأون القرآن.

فإذا أمر الإنسان بالمعروف ونهى عن المنكر، ودعا إلى الله، وقرأ القرآن زاد إيمانه، وإذا غفل أو عصى نقص إيمانه.

فعقيدة أهل السنة والجماعة تقوم على أن الإيمان اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح، وأنه يزيد وينقص.

ثانيًا: مكانة الزكاة من الإيمان

في بيان مكانة أركان الإسلام عمومًا وركن الزكاة خصوصًا وعلاقتها بالإيمان، أورد إليك كلامًا جميلا للإمام الجليل أبي عبيد القاسم بن سلام – رحمه الله - في كتابه الإيمان حيث قال:

"والأصل في ذلك – أي أن: الإيمان يكون بالنية والقول والعمل جميعاً - إتباع ما ابتعث الله عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل به كتابه، فوجدناه قد جعل بدء الإيمان شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فأقام النبيّ صلى الله عليه وسلم بمكة بعد النبوة يدعو إلى هذه الشهادة خاصة، وليس الإيمان المفترض على العباد يومئذ سواها، فمن أجاب إليها كان مؤمنا، لا يلزمه اسم في الدين غيره، وليس يجب عليهم صلاة ولا زكاة ولا صيام ولا غير ذلك من شرائع الدين، وإنما كان هذا تخفيفا

على الناس يومئذ رحمة من الله لعباده ورفقاً بهم؛ لحداثة عهدهم بجاهلية وجفائها، ولو حمّلهم الفرائض كلها معاً نفرت منه قلوبهم، وثقلت على أبدانهم، فجعل ذلك الإقرارَ بالألسُن وحدها هو الإيمان المفترض على الناس يومئذ، فلما أثاب الناس إلى الإسلام وحسنت فيه رغبتهم، زادهم الله في إيمانهم أن فرض عليهم الصلاة، ففعلوا، ووالله لو لم يفعلوا ما نفعهم إيمانهم الأول، فلما علم الله صدق ذلك من قلوبهم زادهم الله في إيمانهم بأن صرف الصلاة إلى الكعبة، بعد أن كانت إلى بيت المقدس فقال سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة:144]، ثم خاطبهم وهم بالمدينة باسم الإيمان المتقدم لهم.

فلما نزلت الشرائع بعد هذا وجبت عليهم وجوب الأول سواء، لا فرق بينها، لأنها جميعا من عند الله وبأمره وبإيجابه، فلو أنهم عند تحويل القبلة إلى الكعبة أبوا أن يصلوا إليها وتمسكوا بذلك الإيمان الذي لزمهم، والقبلة التي كانوا عليها، لم يكن ذلك مغنياً عنهم شيئاً، ولكان فيه نقض لإقرارهم، لأن الطاعة الأولى ليست بأحق باسم الإيمان من الطاعة الثانية،

فلما أجابوا الله ورسوله إلى قبول الصلاة كإجابتهم إلى الإقرار، صارا جميعاً معاً هما يومئذ الإيمان، إذ أضيفت الصلاة إلى الإقرار.

والشاهد على أن الصلاة من الإيمان قول الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:143] وإنما نزلت في الذين توفوا من أصحاب رسول الله ﷺ وهم على الصلاة إلى بيت المقدس، فسئل رسول الله ﷺ عنهم، فنزلت هذه الآية[أخرجه البخاري].

فأي شاهد يُلتمس على أن الصلاة من الإيمان بعد هذه الآية؟

فلبثوا بذلك برهة من دهرهم، فلما أن داروا إلى الصلاة مسارعة، وانشرحت لها صدورهم، أنزل الله فرض الزكاة في إيمانهم إلى ما قبلها، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة:83] وقال: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة /103] فلو أنهم تمسكوا بالإيمان السابق وأقاموا الصلاة غير أنهم ممتنعون من الزكاة كان ذلك مزيلا لما قبله، ناقضا للإقرار والصلاة كما كان إباء الصلاة قبل ذلك ناقضا لما تقدم من الإقرار.

والمصدق لهذا: جهاد أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالمهاجرين والأنصار على منع العرب الزكاة، كجهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الشرك سواء، لا فرق بينها في سفك الدماء وسبي الذرية واغتنام المال، فإنما كانوا ما نعين لها غير جاحدين بها، ثم كذلك كانت شرائع الإسلام كلها، كلما نزلت شريعة صارت مضافة إلى ما قبلها لاحقة به، ويشملها جميعا اسم الإيمان فيقال لأهله مؤمنون" ا.ه ملخصًا.

أيها المسلم! إذا علمت أن الزكاة من الإيمان تدبر قول الله عزّ وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال:-2 4] فأخبر أن المؤمنين هم الذين جمعوا هذه الأعمال التي بعضها يقع في القلب مثل الخوف من الله والتوكل عليه، وبعضها باللسان مثل ذكره سبحانه، وبعضها بهما وسائر البدن مثل الصلاة التي جمعت بين حضور القلب والذكر وأفعال الصلاة البدنيّة، وبعضها بهما أو بأحدهما وبالمال مثل الزكاة التي جمعت بين حضور القلب بالنيّة وبذل المال، وفيما ذكر الله من هذه الأعمال تنبيه على ما لم يذكره، وفي كل ذلك دلالة على أن هذه الأعمال وما نبه بها عليه من جوامع الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص.

إذا تقرر هذا الأصل العظيم -أن الزكاة سبب من أسباب زيادة الإيمان- فلنغتنم هذه الفرصة، ونبادر إلى تعلم الزكاة وأحكامها..

نتعلم شروط وجوبها..

نتعلم ما هي الأموال التي تجب فيها الزكاة..

وما هي المقادير والأنصبة التي تجب فيها الزكاة..

ونتعلم كيف نخرجها، وأين نصرفها..

ثم نبادر إلى إخراج زكاة أموالنا عن طيب نفس، ونعتبرها مغنما لنا في الدنيا والآخرة، ولا نعتبرها مغرمًا، قال الله تعالى :

﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾

فالمؤمنون يعتبرون الزكاة حين يخرجونها قربات لهم, فيُوفر لهم الأجر, ويخلف عليهم ما أنفقوا بخير منه؛ لنيتهم الحسنة ومقصدهم الأسمى.

فاتق الله أيها المسلم، واستشعر هذه المعاني ﴿وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

@BaynoonaNet
Baynoona.net
Baynoonanet
@BaynoonaNet

الزكاة

وعلاقتها بالإيمان

عبد الرحمن بن سلمان الحمادي
حفظه الله

Www.Baynoona.Net